بنية الشخصية في قصيدة النثر عند عدنان الصائغ

أ. د. سامر فاضل عبد الكاظم الأسدي
جامعة بابل/ كلية الآداب

The Structure of Personality in the Prose Poem with Adnan Al-Sayegh

Assist. Prof. Dr. Samir Fadhil Abdul kadhim Al-Asady
College of Arts/ University of Babylon

dr.samer.8787.2016@gmail.com

Abstract

Adnan Al-Sayegh's poetry comes in a remarkable way in terms of language, gender, employment and significance. The structure of the character in the prose poem has in order to reveal the structure of the central character and get a close significance to the purpose of the poet.

Key words: The Structure of the Character, the Prose Poem, Adnan Al-Sayegh.

الملخص

يأتي شعر (عدنان الصائغ) في مجمله لافتاً للنظر من حيث اللغة والنوع والتوظيف والدلالة، وهذا ما جعله يبني شخصيات قصائده على نحو تتجلى فيه قدرته مع هذه الشخصيات وبصيغ كلية أو جزئية من أجل دعم فكره وغاية، وأحياناً تأتي قناعاً مهيناً في نصه، وهذا ما جعلني أتناول بنية الشخصية في قصيدة النثر لديه من أجل الكشف عن بنية الشخصية المركزية والحصول على دلالة قريبة إلى مقصدية الشاعر.

الكلمات المفتاحية : بنية الشخصية ، قصيدة النثر ، عدنان الصائغ.

المقدمة

مما لا شك فيه أن الشخصية تؤدي دوراً ملحوظاً في إضفاء القيمة الفنية والجمالية في تشكل النص الأدبي، ذلك أنها تنطلق من واقع موضوعي محسوس، يعتمدها الشاعر من خلال استحضارها عبر فعالية التبصير بالاستناد إلى زمن قريب وآخر بعيد، أو قد تكون شخصية انتقائية يتخيلها الشاعر ويستحضرها من شعوره للاقتراب من القارئ والواقع.

فالشخصية مكون شعري مهم داخل القصيدة، وهي في معظم الأحيان تمثل أبعاداً فكرية وشعورية متصارعة من أبعاد رؤية الشاعر أكثر مما تعبر عن أحداث درامية تتطور وتنمو، ولذلك هي بمثابة رموز لأفكار الشاعر وأحاسيسه.

وهذا ما جعل لكل شاعر طريقته الخاصة في عرض الشخصيات والكشف عنها شيئاً فشيئاً.

وليس من الغريب أن تتعدد أنماط الشخصية عند شاعر كـ(عدنان الصائغ) وهو من شعراء الحداثة العراقية، لاسيما أن تجربته متنوعة سواء على مستوى أنماط الشخصية أم على مستوى أنماط القصيدة، ومن هنا جاءت فكرة البحث بدراسة بنية الشخصية في قصيدة النثر عند (الصائغ) بوصفها نصاً شعرياً مفتوحاً. ويكشف لنا عن بنية الشخصية فيها وذلك من خلال التحليل البنيوي الذي يعطي لنا وجهين لبنية الشخصية، من الوجهة الأولى تعطي

لنا صفات وأسماء تدل على هويتها، والثانية كل ما نجمع عنها ولا نحدد بنيتها إلاّ مع انتهاء النص الشعري، وهذا ما جعله يوظف مختلف الشخصيات في قصيدته النثرية، وعلى النحو الآتي:

أولاً. بنية الشخصية الدينية في قصيدة النثر عند الصائغ:

يعد الموروث الديني مصدراً أساسياً من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون واستمدوا منها شخصيات تراثية عبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة[1].

ويمكن تصنيف الشخصيات التي استمدها شعراؤنا المعاصرون من الموروث الديني (شخصيات الأنبياء، والشخصيات المقدسة) وغيرها من الشخصيات.

والشخصيات الدينية في كل العصور ولدى كل الأمم مصدرٌ سخيٌّ من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية، والآداب العالمية حافلة بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني[2].

لقد وظف (الصائغ) شخصياته بأنواع القصائد التي كتب فيها فنرى توظيف أنواع الشخصيات (الدينية، السياسية، الأدبية، الأسطورية) في قصيدة النثر، ومن تلك الشخصيات شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصيدته الملحمية نشيد أوروك

يقول:

[يسألني الطفل تحت قميصي المشجَّر:
ما كان يحدثُ
لو نسيَ العنكبوتُ
–على باب حرّاءِ–
أنْ يَنْسجَ السيرةَ النبويَّة
يقفزُ –من جحر منبرهِ– الشيخُ مرتعباً:
اطردوهُ،
لقد أفسدتهُ مواخيرُ أمريكا... ...] آه أمريكا...
آه، شمَّاعةَ الخطأ العربي[3].

تعد شخصية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أكثر الشخصيات الدينية التي لها دلالات متنوعة وكثيرة ومتنامية، ووظفها توظيفاً شاملاً للإنسان بكل ما يتعرض له الإنسان من انتصارات أو عذابات، حيث بنيت الشخصية على ثنائية (الحدث الحقيقي/ الحدث غير الحقيقي) حيث نرى السؤال حول عدم وجود السيرة النبوية أو انقطاع السيرة النبوية، وكيف قفز الشيخ من منبره عند سماعه ذلك القول، وفي حقيقة الأمر أنه بوجود الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أصبح للإنسان العربي مجد وإنسانية، إلاّ أن النص هنا يصور حالة عدم الفهم من قبل الآخرين، وكيف أن النبي محمد كان يوجد في زمانه من لا يفهمه ويحاربه.

---

[1] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، 1997: 76.

[2] م.ن: 75.

[3] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ، المجلد (1–2–3)، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط3، 2017: 327.

فالحدث الحقيقي هو وجود النبي محمد وإكمال سيرته النبوية بالرغم ممن يحاول إخفاء ذلك بأحداث غير حقيقية، كذلك فإن شخصية النبي محمد (صلى الله علي وآله وسلم) لها دلالة أخرى وهي إعطاء الإنسان إضاءة حقيقية لرؤية المستقبل وإنارة فكره بالأفكار الصحيحة التي تجعل منه إنساناً حقيقياً[4]، فدلالة التوظيف هنا دلالة تصوير بعض من جوانب وأبعاد التجارب الحقيقية التي يتعرض لها الإنسان العربي عامة والعراقي خاصة.

كذلك ترى توظيف شخصية (الخضر) عليه السلام. يقول:

وكلّ ثلاثاء...
تمضي إلى مسجدِ السهلةِ
توزّعُ خبزاً وتمراً
وتنذرُ (للخضر) صينيَّةً من شموعٍ،
إذا جاءَها بالمُراد
ستُوقدُها- في المساء-
على شاطئِ الكوفةِ
فأُبصرُ دمعَتَها تتلألأُ تحتَ الرموشِ البليلةِ
مُنسابةً...
كارتعاشِ ضياءِ الشموعْ
ألا أيُّها النهرُ
رِفقاً بشمعاتِ أُمّي
فنيرانُها.. بعدُ لم تنطفِ
ويا سيّدي (الخضر)...
رفقاً بدمعاتِ أُمّي
ففي قلبها...
كلُّ حُزن الفراتِ[5].

هنا بنيت الشخصية على ثنائية (التأثر/ التأثير)[6]، إذ إن علاقة الأم بالخضر (عليه السلام) علاقة روحية تتَّضح من خلال طلب المراد والاستجابة من قبل الإمام (عليه السلام)، فتأثير الإمام على الأم من خلال كونه إماماً متصلاً بالسماء يستجيب لها عندما تدعوه وتطلب منه، وتوقد له الشموع عندما يتحقق مرادها، وهذا التأثير الحقيقي الذي تتضح من خلاله الصورة الجميلة التي صورها النص.

وفي نص آخر نرى شخصية دينية، وهي النبي (يوسف) عليه السلام:

ولم يزل الملتحون
أمامَ مرايا الزمان الحليق
يفكُّون ألغاز سورة يوسف

---

[4] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: 80.

[5] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 399-400.

[6] البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي، رافيندران، ترجمة خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2002: 55.

هل قُدَّ من دُبرٍ عمرُنا أيّها الربُّ؟
مزَّقني الجبُّ لا الذئبُ
منذ رأيتُ الكواكبَ تسجد لي
وأنا ساجدٌ تحت سوطِ المحقِّقِ:
- من أين تعرفُ يوسفَ؟
- يا سيدي قلتُ أضغاثَ حُلمٍ... ومرَّ [7]

إن توظيف شخصية النبي يوسف وما مر به من مراحل وتسلسل في حياته وتقلبات وانتقالات تمثل القبول من ناحية والرفض من ناحية أخرى[8]. إن القبول مثل تقبل الواقع من قبل النبي يوسف كون ما مرَّ عليه هو أمر إلهي، والرفض متمثل في إخوته الذين رفضوا أن يكون يوسف هو من يأخذ النبوة من والده النبي يعقوب ويصبح نبياً على أخوته وأهل مدينته، إلاّ أن انتصار الأمر الإلهي هو من جعل الطرف الآخر في خسارة، أي إن في النص ثنائيات (القبول، الرفض) (الانتصار، الخسارة)[9].

ثانياً. بنية الشخصية السياسية في قصيدة النثر عند الصائغ:

اهتم الشعراء بالشخصيات السياسية، من ملوك وقادة وأبطال ودكتاتورية سياسية وغيرها من الشخصيات، وهي كثيرة جداً، وارتباط تلك الشخصيات بشخصيات الثوار وعبارات النضال[10].

إن الشاعر الحديث يتعامل مع الشخصيات السياسية على وفق مضامينها المهيمنة فيه، فيمنحها بُعداً عاماً يجعلها تتجاوز عصرها ويحقق لها قدرة التواصل الحي مع العصر الراهن لتبرز فيه سماتها المميزة كما كانت في عصرها[11].

فللأوضاع السياسية الماضية التي عاشها الشعب العراقي والأوضاع الحالية أيضاً في ظل حكام اتخذوا العنف أسلوباً للتعامل مع الشعب أثر في ذلك التوجه[12]، وأثر في توظيف الشاعر العراقي للشخصيات السياسية واستدعائها في نصوصه.

فأيديولوجية الشاعر الحديث تنبع أساساً من إحساسه الذاتي بالقضايا الكيانية الكبرى[13]. يقول:

تقرعُ لاهيةً جرس خلخالها،
من قيانٍ وليلو...

---

[7] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 324-325.

[8] فن الشعر، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط4، 1987: 177-178.

[9] استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)، الدكتور بسام قطوس، اربد، مؤسسة حمادة ودار الكندي، 1998: 150.

[10] أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط1، 1986: 81.

[11] م.ن: 80.

[12] الحداثة في الشعر العربي المعاصر (بنائها ومظاهرها)، د. محمد العبد حمود، الشركة العالمية للكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2017: 238.

[13] م.ن: 328.

فَيطلُّ من البابِ حارسُها الضخمُ منتعظاً:

– أمرُ سيدتي

فصلوا جُثَّة البرمكي

–على باب قصر الرشيد–

ثلاثاً

... ...

ومن شُرفة المجد،

يبكي الرشيدُ لياليهِ

لا نجمةٌ غيرُ هذي الدموعِ،

مرقرقة

فوق خدِّ السماءِ

تُظلِّلُها غيمةٌ عَبَرتْ[14]

من خلال تحليل النص والوقوف على ما فيه من صور وملامح الشخصية التي بُني عليها النص نجد أن بنية الشخصية تمثل بنية (القوة والضعف)[15]، وهذه الثنائية لا نجدها في آخر ضد للشخصية وإنما نجدها في الشخصية نفسها فالتناقض في ذات الشخصية، فالشخصية السياسية هارون الرشيد شخصية مختلفة لما يقوم به من دور في خلافة المسلمين (فهو يمثل دور القوة) ولكن في داخله (شيء من الضعف) أمام ما يلاقيه من رفض من قبل الشعب فسيرته مليئة بالجواري والعبيد وليالي السهر واللهو التي يرفضها الشعب في خليفتهم، كذلك نجد في النص ثنائية أخرى تتضح من خلال بنية الشخصية وهي ثنائية (الذات والموضوع)[16]، وهي ثنائيات ضدية، والعلاقة بينهما جدلية، فلا وجود لفكر إنساني من غير ثنائيات ضدية[17].

فالشخصية السياسية هارون الرشيد يمثل (الذات) والشعب يمثل (الموضوع) الذي لا يعير له الخليفة أي اهتمام، فهو يفكر في ذاته وشخصه وملذاته بعيداً عن أماني الشعب ومصالحهم.

وفي نص آخر يقول:

[ما زال سيف يزيد

يَمدُّ بساط الخلافةِ،

حتى انتهاء الزمانِ

وما زال رأسُ الحسين يُكرِّرُ مأساتهُ

في الرؤوس التي أينعت قبل موسمها

فوق أسوارِ كوفان...][18]

---

[14] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 247–248.

[15] البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي: 55.

[16] الثنائيات الضدية (بحث في المصطلح ودلالته)، سمر جورج الديّوب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 1986: 37.

[17] م.ن: 37.

[18] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 89.

هناك شخصيات لحكام وقواد وسياسيين يمثلون الوجه المظلم للتاريخ العربي سواء بسبب استبدادهم وطغيانهم، أم بسبب انحلالهم وفسادهم ووقوفهم بوجه الدعوات والقيم النبيلة في عصرهم، من هذه الشخصيات شخصية (يزيد بن معاوية) الذي وقف بوجه دعوة (الحسين) (عليه السلام) للإصلاح، تمثل شخصية يزيد قوى الباطل والشر، فهنا ثنائية في النص (الباطل، الحق) (الشر، الخير)، بكون أن الثنائيات "وسيلة تصنيفية تجعل الفهم ممكناً"[19].

يمثل يزيد قوى الباطل الخاسرة مقابل قوى الحق المنتصرة على المدى الطويل في الخلود وانتصار القضية.

ويقول أيضاً:

كومود

هليوجالا

مكسيما

نيرون

هتلر... الخ

جنكيزخان

سيموزا

هولاكو

يونغ لو

كاليكولا ... الخ

القائدُ الأوحدُ الرمزُ

القائدُ الفذُّ

– نعم سيّدي

الجميع يقول: نعم سيّدي...

الواحدُ، الأحدُ، الصمدُ، الفردُ، يُغنّي، ويُفني، ويُميت، ويُحيي، و...[20].

نرى من خلال النص التزام النص أو بنية شخصيات النص على وفق آليات المنهج البنيوي، فالنص فيه أكثر من شخصية سياسية وتعدد الشخصيات لها دلالة توضح تعاقب الحكام بنفس الأسلوب وبنفس طريقة الحكم وهذا التعاقب يوحي بوجود ثنائية له توضحه وهي (التزامن) ثنائية (التعاقب والتزامن) وهذه الثنائيات ضدية، فكل شخصية سياسية تأخذ مدة من الزمن تحكم وتفضل مصالحها على الشعب وتقتل حتى تنتهي مرحلة حكمه الزمنية، ويعقبه جائر آخر بنفس الأسلوب وطريقة الحكم ويستمر الشعب بقول نعم سيدي والخضوع لذلك الحاكم بسبب جوره، ويعبر الحاكم عن نفسه من خلال طريقة حكمه بأن لا يوجد غيره في الحياة والدولة فهو يحيي ويميت وهو الواحد لا ينافسه أحد في شيء.

---

[19] البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي: 55.

[20] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 379–380.

ثالثاً. بنية الشخصية الأدبية في قصيدة النثر في شعر الصائغ:

من الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي هو أَثَرّ المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس شعرائنا المعاصرين، ومن الطبيعي أيضاً أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم؛ لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر[21].

وضعوا الشاعر...
في زنزانة
حرقوا...
ديوانه
فنمت للأحرفِ أجنحة
طارت بقصائده للناس
على مرأى من عيني سجَّانه
فأغتاظ السلطان
وصاح بأعوانه:
– من منكم يوقف هذي الأجراس؟
كي لا تصل الناسُ[22]

إن شخصية أبي حيان التوحيدي الذي بدت واضحة من خلال عنوان النص (ما لم يرد في الامتاع والمؤانسة) تلك الشخصية التي شخصت الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية للحقبة التي عاشها، فبنية الشخصية تتضح من خلال سبر أغوار النص، فيتبين لنا أن الشخصية تبنى على ثنائية (الغياب والحضور)[23]، فأبي حيان التوحيدي غائب على الرغم من حضور مؤلفه وتأثيره في الناس ونقل الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية واستفزاز السلطات. فارتقاء أدوات أبي حيان التوحيدي جعلت منه حاضراً حتى وإن غاب فهو مستفز للسلطات مؤثراً في أبناء شعبه.

وفي نص "وليمة شرف على جوع أمل دنقل" نكشف عن بنية الشخصية الأدبية (أمل دنقل):

من رأى دنقلاً
ناحلاً– في القصيدة–
منكمشاً– كالقميص البليل–
على حبلٍ أوجاعه المزمنة[24]

بنية الشخصية على ثنائية (القوة والضعف)، ويقول عبد الله الغذامي "إن معرفة الأشياء لا تتم معرفتها في ضوء معرفة خصائصها الأساسية وإنما يتم ذلك في ضوء تمايزها فالكلمة لها معنى في ذاتها بل معناها يكمن في

---

[21] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: 138.
[22] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 177–178.
[23] الثنائيات الضدية (بحث في المصطلح ودلالته): 133.
[24] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 444.

وجود ضدها"[25] (9: 30)، تتمثل (بنية القوة) في الكتابة عن الآلام والضياع أي (الجرأة في فعل الكتابة) ونقل الواقع بكل أوجاعه وآلامه، وتتمثل (بنية الضعف) في عدم وجود الأمان والحرية والتنقل من مكان إلى آخر، فالشاعر (أمل دنقل) شخصية بني عليها النص والتي تعبر عن حال الجماعة، ولعل الكلمات الدالة على الضعف في النص (ناحلاً –منكمشاً– أوجاعه المزمنة) أما الدالة على القوة (الكتابة عن الواقع والبحث عن الوطن) والذي يبحث عن الوطن هو بدافع الحب لذلك الوطن والحب يعبر عن العاطفة وهي القوة التي تجعل من تلك الشخصية تبحث عن الوطن فقوة العاطفة هي التي سيطر على الإنسان سيطرة كلية فقلبه المرتبك الذي يبحث عن الوطن جعله أمام معادلات صعبة تحت سماء روحه الغريبة؛ لأنه يتوق إلى سماوات أكثر حرية.

ويقول أيضاً:

إلى أين يمضي بأحزانه المتنبي؟

وعشرون كافور فوق عروشهمو،

يحلبون قوافيه– ليلَ نهارَ– ولا يتركون لهُ

غير ريحٍ السؤالْ[26]

إن شخصية المتنبي الشاعر الذي يطلب المجد والرفعة الذي ينتقل بين البلدان، والذي لا يستقر على حال من قلقٍ ويعاني وضعاً سياسياً واجتماعياً[27]، بنيت الشخصية من خلال الغوص في النص على ثنائية (الليل والنهار) هذه الثنائية التي توضح أن الشاعر مستمر في الكتابة ليلاً ونهاراً بكونه شاعراً مجداً يجيد الكتابة فهنا موازنة بين الليل والذات متحدياً النهار والآخر فالمتنبي يكتب ليلاً وينقد الدولة نهاراً متحدياً تلك السلطة، فظهرت ثنائية أخرى وهي (الذات، الآخر)[28]، وهذا يبين وجود سلسلة من الثنائيات الضدية في النص، أي إن الشاعر كان قاصداً أن يعتمد نسق الثنائيات في نصه مما يمنح النص سمة التجدد كتجدد الحياة القائمة على الثنائيات الضدية.

رابعاً. بنية الشخصية الأسطورية في قصيدة النثر عند الصائغ:

إن توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث من أجرأ المواقف الثورية وأبعدها أثراً حتى اليوم؛ وذلك لاستعادة الرموز الوثنية واستعمالها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر[29].

كذلك في الأسطورة طاقة رمزية تمنح الشاعر مجالاً للتعبير، فللأسطورة أهمية كبيرة في إسعاف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية وتنقذ القصيدة من الغنائية المحضة[30].

---

[25] الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية– قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، الدكتور عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة– السعودية، ط1، 1985: 30.

[26] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 264–265.

[27] الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1986: 791.

[28] استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي): 151.

[29] اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1987: 129.

[30] الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور، جلال الخياط، دار صادر، بيروت، 1970: 183، واتجاهات الشعر العربي المعاصر: 165.

فالأسطورة تعطي صواباً شبه منطقي لتجارب الإنسان في حياته اليومية، فهي ترافق تاريخ الإنسان حاضراً وماضياً ومستقبلاً، فهي تنمو عبر الزمن مع امتداد تجارب هذا الإنسان داخل فضاء هذا الزمن.

وفي نص (يوليسيس) نرى أن النص من عتبته معبراً عن شخصية أسطورية:

آه... يوليسيس

ليتك لم تصل الآن

ليت الطريق إلى Malmo كان أبعدَ

أبعد

أبعد

أبعد

... ...

... ...

أيهذا الغريب الذي لم يجد لحظة مبهجة

كيف تغدو المنافي سجوناً بلا أسيجة[31].

نرى من خلال نسق النص وسياقه أن الشخصية وعلى وفق المهج البنيوي بنيت على ثنائية ضدية بينها صراع دائم وهي (الحب، الحرب)، (الغربة، الوطن)، فالشخصية هنا في صراع دائم بين تمسكها في وطنها وحبها له وبين الحروب الدائمة والغربة التي تخلصها من تلك الحروب، إلاّ أن الشخصية هنا بالرغم من خروجها من الوطن تندب نفسها وتتمنى عدم الوصول إلى المنفى وترك الوطن فهذا الصراع مع النفس والفكر جعل من الشخصية ترى كل مكان غير الوطن سجناً آخر وحرباً نفسية ومعاناة لا تنتهي، فهذا الثنائيات تبين تسامي نسق النص الذي بلغ ذروته من الفن والحذاقة في نقل الصورة والواقع.

وفي نص آخر نرى شخصية (فاوست) الأسطورية التي تسعى إلى اكتشاف الجوهر الحقيقي للحياة[32]:

أقول لفاوست

من باعنا

للشياطين

لا مشترٍ لك آخر...

يأتي

ومن سيؤرّخُنا بعد موت المؤرِّخ؟[33]

إن بنية الشخصية الأسطورية توضح وجود تقابل بين الأشياء فالشخصية تبحث عن الحياة في المقابل هناك من يؤدي بالشخصية إلى الهلاك فهنا نجد ثنائية متقابلة وهي (الحياة، الموت) (البقاء، الفناء) هذه الثانئيات الضدية ثنائيات كونية علاقتها بالوجود علاقة دينامية متلازمة تبنى على هذه الثنائيات منظومة فكرية فلسفية دينية أسطورية علمية نقدية تتجلى في الأدب[34].

---

[31] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 340.

[32] الحداثة في الشعر العربي المعاصر (بنائها ومظاهرها): 143.

[33] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 21.

[34] الثنائيات الضدية (بحث في المصطلح ودلالته): 10

فبحث الشخصية عن الحياة وجوهرها الحقيقي يقابله بيع الشخصية من قبل حكامها وهذا يمثل الإنسان العادي والحاكم المتسلط الذي يتحكم حتى في أرواح الناس من حوله ولا يهمها حتى فناؤهم.

خامساً. بنية الشخصية المعاصرة في قصيدة النثر عند الصائغ:

لم يتوقف (الصائغ) عند الشخصيات الموروثة والمشهورة ونراه يوظف شخصيات معاصرة له، وظفها في قصيدة النثر من أجل إغناء تجربته الشعرية ليس من باب إضافة الاسم وإنما من باب الكناية والاستعارة والرمز، لاسيما وأن قصيدة النثر نافذة أوسع لدلالات التجربة الشعرية ومتاهاتها، ففي نص صعاليك حسن عجمي أيضاً (50) من القصيدة النثرية –10– و...[35]:

يا وحيدة

يا وحيدة خليل

ما الذي بقي من هذا الوطن

بعد أن أفرغوه من العشب والثورات والأغاني

قصائده قاحلةٌ بعد أن خمد الجميع في بيوتهم، أو مقابرهم وناموا...

شبابيكه صافنةٌ لا أثر فيها لصراخٍ أو نأمةٍ أو آهةٍ

أزهارهُ يائسةٌ في المحلات

وساحاتهُ مقفرةٌ من المارة والعاهرات والصحف.

يا وحيدة[36].

في النص شخصية (وحيدة خليل) الشخصية العراقية الفنية وهي (مطربة عراقية) فكلمة وحيدة في بداية النص تدل على الوحدة والعزلة في الوقت نفسه وهي تشبه اسم المطربة (وحيدة خليل) فذكر اسم الشخصية لما في ذلك الاسم من وحدة وعزلة أصابت جميع العراقيين المثقفين. بعد أن أخذ الطغاة منه كل أساليب العيش والراحة حتى أنهم أفرغوا الوطن من شعبه فمنهم من ذهب إلى المنفى ومنهم من قتل ومنهم من لزم الصمت في بيته لا يرى أحداً، فالعراق أصبح قاحلاً وساحاته مقفرة، فكلمة (يا وحيدة) الدالة على الوحدة في القصيدة جاءت الثنائية مندمجة ومتطابقة بين (وحيدة) في المعنى العام وفي الاسم الخاص لكلمة (يا وحيدة) المطربة العراقية الريفية، أي الذي يربط بين الوحدة ووحيدة هي (الوحدة والعزلة) وكذلك (قاحلة ومقفرة) (أفرغوه، صامتة) متقابلة بالمعنى أي لا شيء يوجد في المكان، أماكن فارغة تسودها الوحدة فدلالة النص في الثنائية هي الأخرى لها دلالة وهي أن العراق وبسبب السياسات الدكتاتورية التي حكمت على الشعب بالغربة والنفي أصبح فارغاً من أهله تسوده الوحدة والصمت. ومن عنوان النص (صعاليك حسن عجمي) وهو اسم مقهى كان يجتمع فيه المثقفون والأدباء والفنانون والكثير من أبناء الوطن أصبح المقهى فارغاً فأبناء الوطن ذهبوا إلى أماكن متفرقة يبحثون عن العيش والحياة.

واستطاع (الصائغ) أن يأتي بشخصية (وحيدة) على طريقة الإخبار من خلال اسمها، ومن ثم التحول إلى باطن الاسم الذي دل على بنية الشخصية، فالتشابه بين الاسم والقصد رسمه الشاعر للشخصية من وجهة نظره.

وفي نص "حجر ومقاطع ويديك" النثري تظهر شخصية (الجندي العراقي) الذي أمضى عمره يبحث عن السلم والحياة إلاّ إنه لم يصل إلى ذلك بسبب الحروب حتى ملت، يقول:

---

[35] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 121–122.

[36] م.ن: 121–122.

راكضاً...
راكضاً...
بين (الحرب) و(السلم)
سقط الـ(الجندي)
وانكسرت ساقاه
فظل يتنقل بينهما
على عكازيه
حتى مات...
دون أن يجد لهما
معنىً مُحدَّداً[37]

فشخصية الجندي العراقي من الشخيصات النامية تمثل صورة أبناء الشعب العراقي جميهم الذين أمضوا أعمارهم بين الحروب يبحثون عن السلم والحياة، ففي النص ثنائيات ضدية متعددة (السلم/ والحرب) (الحياة/ الموت) فمن خلال فعل الركض نستنتج أن الجندي يركض بحثاً عن الحياة والعيش بأمان بحثاً عن الخروج من تلك الحروب إلاّ أنه يموت قبل أن تنتهي تلك الحروب. وبُنيت الثنائيات في النص على وجود ثنائية مضمرة داخل النص، وهي البحث عن الحياة، أي (الحياة) بعد أن صرح النص بموت الجندي.

ظلَّ ينتقل بينهما
على عُكازيه
حتى مات...

فبنية الشخصية في هذا النص متحركة من حال إلى آخر، كشفت من خلال تطور النص والأحداث، وهي شخصية الجندي العراقي التي تمثل أبناء الشعب، أي إن الشخصية تمثل رؤية جمعية[38]، تشترك في البحث عن السلم والحياة.

أما قصيدته النثرية (مرايا لشعرها الطويل) يستثمر (الصائغ) الفاعلية الشعرية التي تمنحها قصيدة النثر فهي "تنهض بنصيبها القاسي في التعبير عن تجربتها الروحية والجمالية بطريقة لا تستمد شعريتها من مجرد الوزن والقافية، بل من توتر النص، وعلاقاته الداخلية"[39].

فبنية الشخصية في (المرايا) تظهر من خلال ذاته مرة وذات الآخر (الحبيبة)، يقول:

لا أملك خياراً
فأنتِ
تتربعين على عرش مملكة قصائدي

---

[37] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 151-153.

[38] مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، عمر محمد الطالب، دار اليسر للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1988: 242، والحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية والمعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول والمفاهيم)، د. بشير تاوريريت، عالم الكتب، الأردن، 2010: 64.

[39] في حداثة النص الشعري- دراسات نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990: 154.

تفتحين خزائن الكلمات
تنتقين ما يروقُ لكِ
ثم تخرجين إلى الشوارع
مزهوَّةً بين الأُخريات
بلآلئ الحروف التي تطوّقُ جيدك
المرمري[40]

تشغل المرأة مساحة واسعة من نصوص الشاعر، ومن المؤكد أن هذه المساحة الشعرية للمرأة إنما هي انعكاس للمساحة التي تشغلها المرأة في ذاته وأحاسيسه.

عند تحليل النص تحليلاً بنيوياً نرى كيف بنى الشاعر النص على الأفعال (تتربعين، تفتحين، تنتقين، تخرجين) قاصداً منه معاني أخرى لكل فعل، أو مقاصد أخرى لكل فعل، فهو لا يقصد (التربع بمعناه الحقيقي ولا إنها تفتح خزائن الكلمات)، فالكلمات ليس لها خزائن، وهذه الخاصية تصف المال، وإنما أراد الكلمات الثمينة الجميلة التي يقولها لها، وكذلك للأفعال الأخرى، فأراد أن يوصل الشاعر بهذه الأفعال صورة حسية ليست تجريدية، فالمرأة (الحبيبة) في هذا النص تمثل المحور الذي أنطلق إليه الشاعر في الكتابة والتعبير والصور الحسية.

وفي نص آخر تظهر لوعة الشاعر إزاء البياض، فتميل بكفة الميزان إلى النثر، يقول:

الرقيب الذي في الكتاب
ظل يلتهم الكلمات
السطور
الحروف
الفوارز
حتى تكرش من كثرة الصفحات
وغاب
إلهي ما الذي سوف أفعله
بياض كهذا
البياض حجاب[41].

الشاعر هنا يجعل هذه الكلمات أدوات لبثِّ المعنى، فعل الالتهام وفعل الغياب يحملان معاني متضادة، فشخصية الرقيب لم تختفِ في بادئ الأمر، وظل هذا السجال الحدثي في الواقع سمة ظاهرة لنظام بنيوي يحكم النص، يلتهم ما يجده أمامه من حروف وأدوات وكلمات، (وبعدها غاب)، فعل الغياب مضاد لفعل الظهور (في البداية الرقيب) كان يراقب عن قرب، وبعد ذلك يذهب ويراقب عن بعد وهذه التضادات في النص تكشف عن الثنائيات البنيوية التي بني النص عليها وهي بنية (الحضور والغياب).

---

[40] الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ: 112.

[41] م.ن: 283.

ومن قصائده النثرية المعبِّرة عن ذاته:

ما الذي تريد أن ترى
أكثر ممَّا رأيتهُ
رغم أنَّك لم تسافر
أو تدخِّن
أو تضيع في سوهو مثل كولن ولسن
حياتك سفر في الأحلام
وضياع على الورق
وتسكع طويل
تحت أمطار القصائد والضفائر الطويلة[42]

بني هذا النص على شخصية الشاعر التي يسخر منها؛ لأنها ضائعة على الورق ومسافرة في الأحلام ومتسكعة تحت أمطار القصائد، فهنا تتحقق ثنائية بنيوية وهي الرؤية الحقيقية للأشياء والرؤية الحلمية للأشياء، فالحقيقة هي ضد الحلم، فتوظيف الشاعر لهذه الثنائية أراد أن يقول تعذر تحقق أحلامه على المستوى الواقعي، وبقيت أحلاماً ضائعة.

الخاتمة

سنحاول في الخاتمة بيان النتائج المهمة التي تقترب من طموح الشاعر وراء توظيفه لتلك الشخصيات:

1. كشف لنا البحث عن مقدرة الشاعر في تنوع أنماط الشخصيات، وهي إن دلت على شيء تدل على مرجعيات الشاعر التي أغنت تجربته الشعرية الحداثوية.
2. بين لنا البحث أن بنية الشخصية بنية مفتوحة وواسعة ومتحولة تتسع للتوظيف الشعري بحسب موقف الشاعر، كما هو حال قصيدة النثر بوصفها نافذة أوسع تتسع لرؤية روحية وجمالية.
3. استطاع البحث أن يؤشر على نمط شخصي جديد وظفه الشاعر وهو نمط الشخصيات المعاصرة، وهي الأخرى متنوعة، وذلك من أجل إغناء تجربته رمزاً ومجازاً، وليس من باب تجربة المناسبات التذكارية، وإنما رموز بشرية لها دلالات تعبر عن الواقع الراهن.
4. كشف لنا البحث أن بنية الشخصية تؤشر على تباين كبير بين أصل الشخصية وحضورها الشعري في تجربة الشاعر.
5. اشتركت عوامل عدَّة منها سياسية، ودينية، واجتماعية، وراء تلك البنى للشخصيات المدروسة، ونجح الشاعر في بنائها داخل النسق النصي.

---

[42] م.ن: 139.

المصادر

1. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1987.
2. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط1، 1986.
3. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، 1997.
4. استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)، الدكتور بسام قطوس، اربد، مؤسسة حمادة ودار الكندي، 1998.
5. الأعمال الشعرية، عدنان الصائغ، المجلد (1-2-3)، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط3، 2017.
6. البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي، رافيندران، ترجمة خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2002.
7. الثنائيات الضدية (بحث في المصطلح ودلالته)، سمر جورج الديّوب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 1986.
8. الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1986.
9. الحداثة في الشعر العربي المعاصر (بنائها ومظاهرها)، د. محمد العبد حمود، الشركة العالمية للكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2017.
10. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية والمعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول والمفاهيم)، د. بشير تاوريريت، عالم الكتب، الأردن، 2010.
11. الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية- قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، الدكتور عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة- السعودية، ط1، 1985.
12. الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور، جلال الخياط، دار صادر، بيروت، 1970.
13. فن الشعر، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط4، 1987.
14. في حداثة النص الشعري- دراسات نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990.
15. مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، عمر محمد الطالب، دار اليسر للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1988.